محمد بن عبدالله آل عبدالقادر

د. علي بن عبدالعزيز آل عبدالقادر

يتصل نسب الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر عبر سلسلة من العلماء والأدباء والشعراء إلى الجد: عبد القادر بن محمد بن حمد بن علي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري الصحابي الجليل، من بني النجار، من قبيلة الخزرج القحطانية؛ سكان المدينة المنورة (١)؛ وقد نزح عبد القادر وأسرته بني النجار وأبناء عمه من بني النجار وأسرة آل جعافرة الطيار، وأسرة آل السيد هاشم التي جاءت من المغرب العربي، واستقرت هذه الأسر في الأحساء(٢) في العقد الأول من القرن العاشر الهجري في عهد أجود بن زامل الجبري العقيلي النجدي (٣) حاكم الأحساء. وكان على صلة وثيقة بعلماء المدينة المنورة ومؤرخيها. ومن المرجح أنه دعا هذه الأسر العلمية وهي شافعية المذهب سلفية العقيدة للنزوح إلى الأحساء لنشر العلم وتولي القضاء والإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد في مدينة المبرز ومدينة الهفوف. وقد استقرت أحوال الأحساء في عهده وسادها الأمن، وانتشر العمران. ومن المرجح لدى «حمد الجاسر» (٤) أن حكم أسرة أجود بن زامل استمر حتى سنة ٩٢٦هـ. واستقرت أسرة آل عبد القادر من بني النجار في حي السياسب غرب مدينة المبرز بالأحساء (٥)، وهم بيت علم وقضاء (٦). وتولى علماؤها القضاء والإمامة والخطابة والتدريس والوعظ والإرشاد فيها. كما تولت الأسر الأخرى هذه الأمور في مدينة الهفوف. واستقرت في قلعة الكوت مقر حكم الأتراك وآل سعود في المنطقة. ومنهم قسم من بني النجار أبناء عم آل عبدالقادر. استقروا فيها وأسسوا مسجداً كان يعرف باسمهم وتولوا الإمامة والتدريس فيه. ثم

تولى الإمامة فيه بعض شيوخ آل جفيمان، ويعرف الآن بمسجد الرويضة بالكوت، ولا يزال أحفاد بني النجار بمدينة الهفوف حتى الوقت الحاضر (٧).

بيئة الأحساء العلمية:

اشتهرت الأحساء إبان القرون الخمسة الأخيرة -منذ بداية القرن العاشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري- بأنها دار للعلم والعلماء. ومقصد لطلاب العلم من داخل أقاليم شبه جزيرة العرب ودول الخليج العربي والعراق والصومال والهند وباكستان وأفغانستان وإيران. ولقد سجلت خلال هذه الفترة تفوقًا علمياً على جيرانها. وقد ساعد على تبوئها هذه المكانة عدة أمور كما يقرر ذلك الدكتور عبد الله السبيعي (٨):

١ - غنى المنطقة بالأراضي الزراعية الخصبة. وموقعها الجغرافي الذي يشكل حلقة اتصال بين أقاليم شبه الجزيرة العربية ودول الخليج العربي وما وراءها، وتميزها بالرخاء الاقتصادي وازدهار الزراعة وتوافر ينابيع الماء فيها مما شجع على طلب العلم فيها والإقامة في ربوعها.

٢ - تسابق الأسر العلمية والأسر الثرية والولاة على تشييد المدارس الدينية والمساجد والأربطة (جمع رباط. وهو مأوى الطلبة الغرباء) والكتاتيب. ووقف الأوقاف المغلة من بساتين النخيل والأرز والقمح. وبناء الدور ووقف ريعها لصالح العلم وطلبته بالإضافة إلى الهبات والأموال التي كان حكام وأثرياء دول الخليج يرسلونها للصرف على طلبة العلم وتأسيس المدارس وإنشاء المكتبات.

٣ - تقدير سكان المنطقة واحترامهم للعلماء وطلبة العلم وشغفهم بعلوم الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية وآدابها.

٤ - كثرة العلماء فيها وتفرغهم للتدريس وترحيبهم بقاصديهم وتكريمهم. وفتح مجالسهم ومدارسهم ومساجدهم لحلقات الدرس. وتوفير متطلبات

الإيواء والغذاء والكساء والمال للطلبة الغرباء .

٥- تجوالهم في الأقطار الإسلامية الخليجية وغيرها للدعوة والتدريس والإرشاد ومعرفة أهالي تلك الأقطار بهم، وصلاتهم الوثيقة بالعلماء فيها .

٦ - إسناد حكومات دول الخليج العربي مناصب القضاء والإمامة والخطابة إلى علماء الأحساء وطلبتهم .

ويضيف الباحث إلى ما تقدم السبب الآتي :

١ - تنوع المذاهب الفقهية في الأحساء . شجع أتباعها على التوجه إلى الأحساء وطلب العلم فيها، وهذا التنوع يجعل من اليسير على الطلبة دراستها بالإضافة إلى علوم الدين كالقرآن الكريم والتجويد والحديث والتفسير والعقيدة السلفية وعلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة والأدب .

ولهذا فقد ازدهرت الحركة العلمية والثقافية في الأحساء وبلغت شأنًا عظيمًا . يقول الدكتور عبد الله الحامد (٩) : «لقد كانت الأحساء مشهورة بالعلم في القديم والحديث، ولذا نرى الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يمر بها في مرحلة الطلب، يدرس ويناقش علماءها . ثم نرى الإمام عبد العزيز بن محمد (آل سعود) ينتدب الشيخ حسين بن غنام لتدريس اللغة العربية في مركز الدرعية . ويدلنا هذا على ما تحتل تلك البيئة من مركز علمي مرموق» .

وكانت علوم القرآن والحديث والتفسير والتوحيد وعلوم اللغة العربية وآدابها . والتاريخ والسيرة، هي العلوم التي كانت سائدة في حلقات العلماء (١٠) فضلاً عن الكتاتيب التي انتشرت في كل أنحاء المنطقة للبنين والبنات لتعليم القرآن الكريم . والكتابة والحساب (١١) ويتوافر لطلبة العلم الوافدين : الإيواء والملبس والمأكل(١٢)، والمصروفات المالية الشخصية . ولم تكن الأحساء مقتصرة على العلم والتعليم ،وإنما ازدهرت فيها الحركة الثقافية، فالمجالس عامرة بالحوارات الفكرية، والمسامرات الشعرية والأدبية (١٣)، وكان التفاعل الثقافي والعلمي في الأحساء على أشده؛ ولذا لم يكن من الصعب على مديرية المعارف العامة التي

تأسست سنة ١٣٤٤هـ في مرحلة تأسيس كيان المملكة العربية السعودية الحديثة أن يجد معتمدها في الأحساء الشيخ محمد النحاس سنة ١٣٥٦هـ حينما تأسست أول مدرسة سعودية بها صفوة المدرسين من علماء الأحساء للتدريس فيها. مما منحها ثقة أهالي الأحساء ودفعهم لإرسال أبنائهم للدراسة فيها (١٤).

نشأته وحياته:

في هذه البيئة العلمية والثقافية المزدهرة. ولد محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر. في حي السياسب جنوب غرب مدينة المبرز بالأحساء في ربيع الأول سنة ١٣١٢هـ (١٥) في أسرة من أشهر الأسر العلمية فيها. ونشأ في أحضان والده وابن عمه العالم الكبير وشاعر الأحساء الشهير الشيخ علي بن عبدالله آل عبد القادر. وتعلم على شيوخ وعلماء الأسرة وغيرهم، وبدأ مسيرته العلمية بحفظ القرآن الكريم وتجويده مُدَارَسَةً على الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل عفالق، وعلى الشيخ عبد الرحمن بن صالح آل عبدالقادر. وعليه درس أيضًا مبادئ العقيدة السلفية وطرفًا من اللغة العربية وعلومها وفقه الشافعية، ثم فرغ إلى أستاذه وابن عمه الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر، فقرأ عليه التفسير والحديث وفقه الشافعية والنحو والصرف والبلاغة والأدب. ودرس علم الفرائض على الشيخ محمد بن كثير والشيخ عبد اللطيف بن محمد آل عفالق، وكان لملازمته لابن عمه الشيخ عبد الله بن علي الأثر الأكبر في نشأته لما كان يتمتع به من غزارة العلم واتساع الثقافة ونبوغه الأدبي في الشعر (١٦).

وقبيل وفاة الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر سنة ١٣٤٤هـ الذي تقلد قضاء المبرز لمدة خمسين سنة حِسْبةً إلى جانب الإمامة والخطابة في جامع الإمام فيصل بن تركي آل سعود بالمبرز.

أسند الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود -رحمه الله- إلى الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر قضاء المبرز والخطابة والإمامة بجامع الإمام

فيصل بن تركي فيها، بالإضافة إلى التدريس والوعظ والإرشاد.

فتقلد القضاء في شهر شعبان سنة ١٣٤٣هـ(١٧)، وكان محل ثقة أمير الأحساء سعود بن عبد الله بن جلوي بن تركي آل سعود. ومحل ثقة علماء الأحساء فأسندت إليه رئاسة أول مجلس للمعارف بالأحساء منذ تأسيسه سنة ١٣٥٩هـ حتى إلغاء المجلس سنة ١٣٦٥هـ(١٨).

ولقد انتهت إليه الرئاسة في أسرة آل عبد القادر بالأحساء وورث عن أجداده مكتبة قيمة حفلت بروائع التراث العربي والإسلامي من مخطوط ومطبوع.

وقد التزم الشيخ محمد بالمواظبة على أداء المهام التي تولاها بانتظام. فكان يبدأ يومه بإمامة المصلين صلاة الفجر ثم يذهب إلى مدرسة الجبري فيلقي درسه في الوعظ والإرشاد ثم يذهب إلى مدرسة العتبان ليلقي دروسه على طلبته ويعلم القرآن والتجويد حتى ترتفع الشمس، وبعدها يذهب إلى المحكمة الشرعية التي تحتل جزءاً من منزله لمباشرة القضاء حتى أذان الظهر. فينصرف ليؤم الناس ثم يعود إلى منزله فيتغدى وينام نومًا خفيفًا، ثم يذهب لإمامة الناس لصلاة العصر، ثم يفتح مجلسه للعلماء والشيوخ ورجال التعليم والأدباء، وبعد صلاة المغرب يعود إلى مجلسه ليستقبل زائريه حتى صلاة العشاء وبعدها يأوي إلى منزله. أما مجلس العصر يوم الثلاثاء فيكون عادة في بستانه الواقع شرق مدينة المبرز، ويحضره الشعراء والمثقفون وغيرهم ويكون غالبًا بمثابة ندوة أدبية (١٩). ولما تقاعد عن القضاء سنة ١٣٨٤هـ بعد أربعين سنة من العمل الدءوب. تولى أحد تلاميذه وهو الشيخ علي الخطيب مهام القضاء، وتولى الإمامة والخطابة في الجامع أحد شيوخ الأسرة ولا يزال، ولقد تعلم على يده الكثير من القضاة والشيوخ في الأحساء والكويت وقطر والبحرين.

وله صلات وثيقة بعلماء الرياض وفي مقدمتهم مفتي المملكة حينذاك الشيخ محمد آل إبراهيم آل الشيخ وأخيه الشيخ عبد اللطيف -رحمهما الله-، وكذلك الشيخ حمد الجاسر، وغيرهم. وكان على صلة وثيقة بفضيلة الشيخ محمد بن

عبدالعزيز آل مانع مدير عام المعارف بالمملكة(٢٠)، وقد زاره الملك سعود والملك فيصل، وكانت صلته بالشيخ علي بن آل ثاني حاكم قطر وأبنائه وطيدة جداً. وقد قام الشيخ علي آل ثاني بطبع مؤلفاته على نفقته (٢١).

كان الشيخ محمد آل عبد القادر مربوع القامة يميل إلى النحافة؛ أبيض اللون مع إشراقة وبهاء في محياه تضفي عليه جلالاً وجمالاً، وكان يلبس الأبيض من الثياب، ويلبس جبة بيضاء في الشتاء ويعتم بعمامة بيضاء خفيفة أشبه ما تكون بالعقال، ويرتدي مشلحًا أبيض، ويفضل من العطور دهن الورد ودهن العود وله مجلس محاط بدكة مفروشة بالوثير من الفرش والأرائك، ويودع ضيوفه غالبًا عند الباب، وقد عرف عنه التواضع ودماثة الأخلاق والإصغاء إلى محدثه في أدب جم وسعة صدر، وتتخلل حديثه روح الدعابة، وإيراد الشواهد التراثية من شعر وأمثال وحكم وغيرها وكثير ما يرجع إليه الباحثون والطلاب للإفادة من علمه.

وكانت وفاته في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ. وقد رثاه عدد من الشعراء منهم على سبيل المثال الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن محمد العوضي الكويتي الذي أنشد قصيدة طويلة منها(٢٢):

ليبك فتى الأحساء من كان باكيا
نجوم الهدى والمكرمات العواليا
ويجر الدموع الحمر في كل لحظة
فقد قدر المولى علينا المآسيا
وما عذر عين لا تفيض دموعها
وما عذر دمع ليس ينصبّ جاريا

جهوده في نشر العلم والتعليم في الأحساء:

يتضح من معلومات البحث السابقة أن الشيخ محمد بن عبد الله بن عبدالمحسن آل عبد القادر قد نشأ وتربى في بيئة علمية وثقافية مزدهرة؛ سواء بيئة

الأحساء الغنية بالعلماء والأدباء والشعراء (٢٣)، أو بيئة أسرة آل عبد القادر بمدينة المبرز (٢٤) التي اشتهرت بمكانتها العلمية والثقافية خلال القرون الخمسة الأخيرة، في داخل البلاد وخارجها، مما هيأه للقيام بدور ريادي في نشر العلم والتعليم والثقافة في منطقة الأحساء؛ قبل وبعد تأسيس أول مدرسة سعودية فيها- كما سيأتي ذكره لاحقًا- وذلك بعد الحديث عن بداية التعليم الحكومي فيها.

كان التعليم ونشره يشكل أولوية قصوى لدى الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- لأنه منطلق النهضة المباركة. وتطوير المملكة اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً. وبناء المؤسسات وتشكيل أجهزة الحكم. لإدارة البلاد بما يتناسب مع مكانة المملكة العربية السعودية في كيانها العظيم في القرن العشرين الميلادي.

ولذا فقد أصدر -رحمه الله- قراره السامي في غرة رمضان سنة ١٣٤٤هـ بإنشاء مديرية المعارف العامة. وهي أول مؤسسة حكومية مسئولة عن نشر العلم والتعليم في الجزيرة العربية في التاريخ، وباشرت عملها في غرة المحرم سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بمكة المكرمة (٢٥)، وبدأت في إنشاء المدارس في أرجاء المملكة بما تسمح به الإمكانات المالية المحدودة قبل اكتشاف النفط في منطقة الأحساء عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٢م. وحينما زار الملك عبد العزيز الأحساء سنة ١٣٤٩هـ. دعي لزيارة مدرسة النجاح الأهلية التي أسسها الشيخ محمد بن حمد النعيم في مدينة الهفوف، وقد أعجب بما سمعه وشاهده في الحفل الذي أقامته المدرسة، وتقدم الأهالي بالتماس بتأسيس مدرسة حكومية في الأحساء (٢٦)؛ فأمر جلالته مديرية المعارف بتحقيق طلب أهالي الأحساء. وسارعت المديرية بإرسال اثنين من العلماء لفتحها، ولكن المدرسة تعثرت؛ وذلك لجهلها بالأسر العلمية في الأحساء ومكانتها؛ مما جعل الأهالي يحجمون عن إرسال أبنائهم إليها. فعادا إلى مكة المكرمة دون تحقيق الهدف (٢٧)، ثم وجه الملك عبد العزيز إلى مجلس الوكلاء بموضوع نشر التعليم في منطقة الأحساء. فأصدر المجلس قراراً برقم ٢٣ بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٣٥٥هـ (٢٨)، وقد تضمن في الفقرة السادسة منه أمرًا بتأسيس مدارس

الأحساء في مدينة الهفوف والقطيف والجبيل وشقراء وبريدة وعنيزة وحائل. ووجّهَ النائب العام في الحجاز فيصل بن عبد العزيز بخطابه رقم ٦٧٣٤ في٢٦/ ٦/ ١٣٥٥هـ بتكليف عبد الله قاضي. مدير مالية الأحساء. للقيام بوظيفة أول معتمد للمعارف في المنطقة إضافة إلى عمله الأساسي. وذلك لتسهيل أمور هذه المدارس المالية والإدارية. وكانت رواتب معلمي المدارس وموظفيها في المدن المذكورة تصرف عن طريق معتمد المعارف بالأحساء، كما ذكر ذلك لي الأستاذ الشيخ عثمان الصالح مدير معهد العاصمة النموذجي الأسبق بالرياض. وأرسلت مديرية المعارف الأستاذ محمد النحاس ليكون أول مدير لمدرسة الهفوف. ووصل إليها في سنة ١٣٥٥هـ (٢٩)، وباشر عمله بالتحضير لافتتاحها مستفيدًا من التجربة السابقة. وباشر الاتصال بالأسر العلمية. واختيار المعلمين من أبنائها ووجه إلى علمائها وثيقة بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ (٣٠)؛ تضمنت توضيح منهج التعليم والكتب المقررة. وتعهد فيها بعدم تعليم التلاميذ ما يتنافى مع العقيدة الإسلامية مما أكسب المدرسة ثقة المجتمع، وبدأ الأهالي بإرسال أولادهم إليها، وبدأت الدراسة فيها، كما تقرر في سنة ١٣٥٦هـ؛ ولقد عُين النحاسُ معتمدًا للمعارف فضلاً عن كونه مديرًا للمدرسة سنة ١٣٥٨هـ ولحنكته وحسن تصرفه، وعلاقاته الطيبة مع العلماء والوجهاء والمثقفين في الأحساء، استطاع أن يكسب للمدرسة تأييد الأهالي ودعمهم المادي والمعنوي فقاموا بتشييد أول مبنى مدرسي مناسب للتعليم؛ من حيث سعة الغرف الدراسية وساحات المدرسة وجناح الإدارة والمرافق المختلفة على مساحة كبيرة في قلب مدينة الهفوف على حسابهم. وتم افتتاحه في سنة ١٣٦٠هـ. وتأسس أول مجلس للمعارف في الأحساء في أواخر سنة ١٣٥٩هـ ليشرف على مناهج التعليم في المدرسة وعلى شئونها الإدارية والمالية واختيار الموظفين (٣١) فاختار معتمد المعارف، وسمو الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي أمير الأحساء الشيخ محمد آل عبد القادر ليكون أول رئيس لأول مجلس للمعارف بالأحساء منذ تأسيسه سنة ١٣٥٩هـ حتى تم إلغاؤه في سنة ١٣٦٥هـ.

ويتجلى دوره في نشر العلم والتعليم من خلال أعماله العديدة الآتية:

١ - قيامه بالتدريس منذ أن أجازه أستاذه الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر العالم الشهير وشاعر الأحساء. وذلك في الثلاثينات الهجرية. فكان يدرس القرآن والتجويد في كتابه، ثم بدأ يدرس الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية في مدرسة الجبري ومدرسة العتبان ابتداءً من سنة ١٣٤٣هـ. وفي مجلسه، وحلقات دروسه في مساجد الأسرة؛ وتتلمذ عليه الكثير من طلبة العلم وتخرج منهم أئمة ومرشدين وقضاة.

٢ - قيامه بالوعظ والإرشاد في مدارس الأسرة وفي مساجدها، حيث يعقد مجلس الوعظ ويحضره العامة من الرجال والنساء في مكانين منفصلين في المدرسة أو المسجد يعلمهم أمور دينهم تارة، ويوعظهم ويرشدهم تارة أخرى.

٣ - مجالسه الصباحية والمسائية في منزله وفي بستانه، وما يتم فيها من مدارسة العلماء وطلبة العلم في علوم الدين واللغة والأدب والشعر.

٤ - وحينما قلده جلالة الملك عبد العزيز آل سعود منصب القضاء في مدينة المبرز سنة ١٣٤٣هـ وتولى الإمامة والخطابة في جامع الإمام فيصل بن تركي قبيل وفاة شيخه عبد الله بن علي العبد القادر سنة ١٣٤٤هـ برز الشيخ محمد على مستوى المنطقة، عالماً فاضلاً؛ يعلم الناس ويوعظهم في خطب الجمع ما يفيدهم في دينهم ودنياهم.

٥- ولما له من مكانة علمية وتعليمية فقد اختاره أمير الأحساء رئيسًا لأول مجلس معارف في الأحساء منذ تأسيسه سنة ١٣٥٩هـ وحتى إلغائه سنة ١٣٦٥هـ. وقد تحددت صلاحية المجلس في الإشراف على مناهج التعليم والكتب في مدرسة الهفوف وعلى شئونها المالية والإدارية وتعيين المدرسين والموظفين ومتابعة سير الدراسة ونشر المدارس في المنطقة. وتم تشكيله من العلماء والوجهاء وعضوية معتمد المعارف أمينًا للمجلس، وتم إلغاؤه حينما

أصدرت مديرية المعارف العامة القرار رقم ٢٤ في ٢١/ ٢/ ١٣٦٥هـ بإلغاء المجلس وإبداله بهيئة تسمى: هيئة المعارف بالأحساء (٣٢)، ويعد هذا المنصب من أهم المناصب التعليمية والقيادية التي مارس الشيخ محمد آل عبد القادر من خلاله دورًا مؤثرًا و إيجابياً في نشر التعليم بالأحساء وكامل المنطقة. عن طريق اقتراح تأسيس المدارس في مدن المبرز والخبر والدمام والقطيف ومدنها. وتنظيم شئونها، حيث إن المجلس كان يمارس صلاحيات واسعة؛ فنياً ومالياً وإدارياً.

٦ - الدور التعليمي لمكتبة آل عبد القادر التي آلت إلى الشيخ محمد فقام بتنظيم أمورها، وإضافة الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة، وكان الباحث يرتادها مع كثير من طلبة العلم، ويقوم بترتيبها، وقد خصص لها الشيخ محمد غرفة واسعة في منزله مجهزة بالأرفف والأثاث اللازم. وتعد من أهم المكتبات في الأحساء حيث كان يستفيد منها طلبة العلم من داخل الأحساء وخارجها (٣٣)، وفيها مخطوطات نادرة ومن أنفسها؛ «السنن» لأبي داود نقلت إلى الخزانة الملكية بالرياض(٣٤)، وظلت مكتبة آل عبدالقادر تؤدي رسالتها العلمية والتعليمية عبر حقبة طويلة من الزمن، ولكنها بعد وفاة الشيخ محمد آل عبد القادر كادت تتلف تمامًا كما تلفت مكتبة آل مبارك من قبل، ومكتبة آل أبو بكر الملا، لعدم عناية الخلف بها، فلقد نقلت الكتب من منزل الشيخ في حي السياسب إلى منزل ابنه في حزم المبرز، ووضعها في مراحل التمر في سرداب المنزل، فتعرضت للقوارض من الدواب والحشرات. وحينما عُين الباحثُ عميداً لشئون مكتبات جامعة الملك فيصل بالأحساء سنة ١٤٠٠هـ. قام بعقد اجتماع مع أبناء عمه واقترح نقل الكتب إلى المكتبة المركزية بالجامعة ليتم ترميم التالف منها وتصوير محتوياتها ووضعها في خدمة العلم وطلابه. ولقد وافق الجميع على الاقتراح غير أن أحد شيوخ الأسرة وافق على إعطاء الجامعة مجموعة من

المخطوطات والمطبوعات، لا تشكل سوى ١٠٪ من محتويات المكتبة. وتم تصوير هذه المجموعة وعرضها في دولاب خاص بها، وقد استفاد منها عدد من طلبة الدراسات العليا في الأحساء، بتحقيق بعض مخطوطاتها. وحصولهم على درجة الدكتوراه فيها، وهكذا كانت مكتبة الشيخ محمد ولا تزال منهلاً علمياً لطلبة العلم في الأحساء.

٧ - أثره التعليمي من خلال الشعر:

يعد الشيخ محمد آل عبد القادر شاعرًا مقلاً. وكان الشعر وسيلة من وسائله التي يشارك بها في الحياة الثقافية والتعليمية، فهو ينظم القصيدة في مناسبات العلم والثقافة، يحض الناس، ويمتدح من لهم فضل في دعم العلم ونشره، ويحض المسئولين على فتح المزيد من المؤسسات التعليمية (٣٥)؛ وكان في استقبال جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حين زيارته لمدرسة النجاح الأهلية التي أسسها الشيخ حمد بن محمد النعيم سنة ١٣٤٣هـ، وكانت تدرس منهجًا شاملاً للدين والفقه والتجارة بمنهج حديث، وتقدم باسم أهالي الأحساء إلى جلالته بطلب فتح مدرسة حكومية، وتم تعميد مديرية المعارف بإنشائها سنة ١٣٥٠هـ كما تقدم آنفًا.

وحينما تم افتتاح المبنى الجديد لمدرسة الهفوف الأولى سنة ١٣٦٠هـ كان من أبرز الشعراء الذين احتفوا بهذه المناسبة، بإلقائه قصيدة طويلة، تداولتها المراجع التي كتبت عن التعليم في الأحساء ومنها (٣٦):

لسان الشعب يصدح بالتهاني
ونور الأنس أشرق في المغاني
وأعلنت البشائر في سرور
على ما تم من نيل الأماني
ألا أهلاً بيوم الفتح أهلاً
فليس له شبيه في الزمان

بمدرســـة زهـت في أرض هجــر
تفـــوق بحـــسنهـــا كل المبـــاني
لعلم الـدين والآداب شـــيــــدت
وآداب وأخــــلاق حــــســـــان
فـــإن العـلـم أفــــضـل كـل شيء
ويهــــديكم إلى ســـبـــيل الجنان
فـذو العـــرفـــان لو يفنى فـحي
ورب الجــهل لو يحـــيـــا فـــفـــان
فـصـــوغـــوا بالعلوم لكم سـلاحًـا
فـسـيف العلم يقطع كـاليــمـاني
وهبـــوا بالدعـــاء ســـرًا وجـــهـرًا
بإخـــــلاص الجـــوارح والجنان
بعـــز مليكنا عـــبـــد العـــزيز ابن
الســـــعـــــود المرتضي في كل آن
حـمى الإسـلام من كـيـد الأعـادي
ومـــــد لأهله ظل الأمـــــاني
وقـــد فـــتح المدارس للرعــــايا
لهـــا ثمـــر لبـــاغي الخـيـــر داني

وحينما قام الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع المدير العام للمعارف سنة ١٣٦٥هـ. بجولة على مدارس المملكة، وجاء إلى الأحساء، حيث أقيم له حفل استقبال. تقدم الشيخ محمد بإلقاء قصيدة للترحيب به، يطلب فيها فتح معهد علمي بالأحساء وجاء فيها (٣٧):

بمرآك تـرتـاح الـقـلـوب وتـطـرب
وكل امـرئ يولي الجـمـيل مـحـبب

نهضت بأعباء المعارف والعلى
ونلت من التوفيق ما كنت ترغب
فتحت بأفضال المليك مدارسًا
تزيل ظلام الجهل عنا وتذهب
لقد علم الأقوام أن حمى الحسا
قديمًا بأنواع المعارف مخصب
وبالعلم والآداب تزهو ربوعه
يسر قلوب الوافدين ويعجب
فجدد لنا تلك العهود بمعهد
يعود به ذاك الزمان المذهب
فلازلت مفتاحًا لكل فضيلة
وخير به الأمثال للناس تضرب

وقد حقق آماله وتم فتح المعهد العلمي بالأحساء سنة ١٣٧٤هـ، وفي الاحتفال ألقى الشيخ محمد قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها (٣٨):

لقد فازت الأحساء بالمعهد العلمي
وطاب لنا في مدحه رائع النظم
فلاح وإصلاح وعلم ونائل
تجود به كف المليك التي تهمي
تفتحت الآمال يوم افتتاحه
وسارت حميا الوجد في كل ذي فهم
فأين الشباب الناهضون إلى العلا
هلموا هلموا للسعادة والحكم
هلموا إلى علم الشريعة والهدى
يحض على التقوى وينهى عن الإثم

وكان الحسا في سالف الدهر معهدًا
يؤدي إلى جيــــرانه نافع العلم
فلا تهنوا أو تضعفوا في اكتسابه
لكل على قدر الجهاد من الغنم
وصوغوا عقود الشكر من خالص الولا
لعاهلنا المعروف بالبذل والحلم
وأسرته الغرّ البهاليل في الورى
أسود الوغى أهل الشهامة والحزم

والمتأمل فيما تقدم من المقتطفات الشعرية للشيخ محمد آل عبد القادر يدرك بوضوح اتجاه الشاعر وشغفه بالعلم ونشره، وللشعر دور كبير في التأثير في وجدان الناس، وخاصة في منطقة شغف أهلها بالعلم والأدب والشعر يتناولونه في مجالسهم ونزهاتهم في البساتين والحقول. . . أن يترجم في شعره المعاني والأهداف التي يحققها العلم لطلابه.

ويقول عنه الأستاذ عبد الرحمن العبيد رئيس النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية: (عالم كبير تولى القضاء بمدينة المبرز فجرد نفسه لخدمة العلم. وهو بالإضافة إلى تعمقه في الدراسة الشرعية يحمل روحًا أدبية عالية) (٣٩).

ويقول عنه عبد الفتاح الحلو: (كان رحمه الله شغوفًا بالمعرفة. محبًا للعلم. انتهت إليه الرئاسة في أسرته) (٤٠).

ويقول عنه الشباط (وحب العلم يتغلغل في أعماق شيخنا فهو حينما يتحدث عن الأحساء في شعره يكون مبتداه العلم)(٤١).

٨ - أثره العلمي والتعليمي من خلال مؤلفاته:

قام الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر بالتأليف في التاريخ والأدب رغم أعماله العديدة، خلال الفترة من سنة ١٣٤٣هـ إلى سنة ١٣٨٤هـ حينما تقاعد.

ومن مؤلفاته الكتب الآتية :

١ - كتاب (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد) الذي أشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي الأستاذ حمد الجاسر الذي كان من أوائل المدرسين بمدرسة الهفوف الأولى، وكان على صلة وثيقة بالشيخ محمد، وطبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ويتكون الكتاب من قسمين :

- **القسم الأول** في تاريخ الأحساء منذ القدم حتى وقت تأليفه ولم يقتصر على الجانب التاريخي للمنطقة وإنما تضمن معلومات عن أنساب أشهر الأسر، وعن الينابيع الشهيرة والأماكن الجغرافية، ويعد أول مصدر حديث عن المنطقة [illegible] بذل جهدًا كبيرًا في جمع المعلومات [illegible] .

- **أما القسم الثاني** فهو يتعلق بالجانب العلمي الأدبي من تاريخ منطقة الأحساء منذ القدم حتى الوقت الحاضر، ويعرض فيه نماذج شعرية متميزة وتراجم للشعراء والأعلام، ولقد كان هذا الكتاب بقسميه ولا يزال من أهم مراجع التاريخ عن المنطقة، ومصدرًا للباحثين والمؤلفين عنها، وقد طبعه المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م على نفقة الشيخ علي آل ثاني رحمه الله .

١ - كتاب «مختارات آل عبد القادر» وقد حدثني عنه الشيخ محمد نفسه أن هذه المختارات الشعرية تم اختيار مقطعاتها من قبل أبناء الأسرة، حيث يحضرون مجلس الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر العالم والشاعر الكبير ومجلس الشيخ محمد نفسه، ويتقدم أحدهم بما اختاره من شعر، فيلقيه على مسامع الحاضرين ويتم مناقشة المقطّعة واختيار أفضل ما يقدم، وقام الشيخ محمد بجمعها وعرضها في هذا الكتاب وهي تعكس الاهتمام بالشعر والأدب لدى الشيخ محمد الذي استهدف من تأليفه هذا الكتاب تقديم نصوص أدبية للطلبة ولإفادة قارئه بأجود القصائد الشعرية، كما أنه

يوضح اتجاه الأسرة في تنمية المواهب الأدبية لدى أبنائها؛ يقول عنه الناشر في مقدمته(٤٢) : «ومن هذا القبيل ذلك المجموع الذي تداولته أسرة آل عبدالقادر في الأحساء والذي قام بجمعه وتنسيقه العالم الباحث الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر قاضي بلدة المبرز من أعمال الأحساء». ثم يضيف موضحًا: «والأصل الذي قمنا بالطبع عنه هو مجموعة من الأوراق كتبت بفترات متباعدة وبخطوط متعددة، وقد امتلأت حواشيها بالاستدراكات والقصائد التي أصاب بعض سطورها التلف والنقصان»؛ وقد جاء قسم من القصائد لشعراء مشهورين، والقسم الآخر لشعراء آل عبد القادر ومنهم الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر والشيخ أحمد والشيخ محمد آل عبد القادر ولآخرين مثل الشيخ عبد الله الكردي البتوشي والشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك. وتم نشره سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

ومما تقدم نستخلص حقيقة الدور الرائد لفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الذي قام به طيلة حياته في نشر العلم والتعليم والثقافة في الأحساء وخارجها.

جزاه الله عن العلم وطلابه خيراً.



الهوامش ومصادر البحث:

١ - آل عبد القادر، محمد بن عبد الله: «**تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء في القديم والجديد**» القسم الأول، مطابع الرياض سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص: ٤١.

٢ - الجاسر، حمد «بلاد الأحساء» **مجلة العرب**، جزء (٩، ١٠) السنة ١٣، الربيعان سنة ١٣٩٩هـ، دار اليمامة بالرياض، ص: ٧٨٦.

٣- الجاسر، م س.

٤ - الجاسر، م س ص: ٧٨٧.

٥ - الشباط، عبد الله أحمد: «**الفقيه الشاعر: عبد الله بن علي آل عبد القادر**»، مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي ط ١. ١٤١٠هـ، ص: ٢٩.

٦ - المغيري، عبد الرحمن بن حمد بن زيد: «**المنتخب في ذكر أنساب العرب**»، المكتب الإسلامي في دمشق ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص: ١٠٣.

٧ - آل جغيمان، الشيخ إبراهيم بن أحمد: «حديثه في مجلسه عن مسجد بني النجار بقلعة الكوت، إمام المسجد المذكور حتى سنة ١٤١٨هـ. وقد خلفه في الإمامة ابنه محمد ولا يزال».

٨ - السبيعي، الدكتور عبد الله ناصر: «**الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٥٠ - ١٣٨٠هـ/ ١٩٣٠ - ١٩٦٠م**» ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، الناشر، الدار الوطنية الجديدة بالخبر، ص: ٢٠-٢١.

٩ - الحامد، د. عبد الله: «**الشعر في الجزيرة العربية. خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠هـ**» مطابع الإشعاع التجارية بالرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٠ - السبيعي، م س، ص: ٢٠-٢١.

١١ - المرجع السابق.

١٢ - المرجع السابق.

١٣ - الحامد، م س، ص: ٦١ .

١٤ - السبيعي، م س، ص: ٥٢ .

١٥ - الحلو، د. عبد الفتاح: «**شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر**» الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص: ٥٠٩ .

١٦ - الحلو، م س.

١٧ - المرجع السابق.

١٨ - آل ملحم، الدكتور محمد بن عبد اللطيف: «**لمحات عن الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبد العزيز**» محاضرة ألقاها في نادي مكة الأدبي في ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ١ / ١١/ ١٩٩٤م. نشرتها مجلة العرب في ج٦، ٥ السنة ٣٠، ذو القعدة - ذو الحجة سنة ١٤١٥هـ، دار اليمامة بالرياض، ص: ٣١٩ .

١٩- الشباط، عبد الله أحمد الشباط: «**أدباء من الخليج العربي**» الدار الوطنية الجديدة بالخبر، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص: ٢٩٢ .

٢٠ - الحلو، م س.

٢١ - المرجع السابق.

٢٢ - المرجع السابق.

٢٣ - المرجع السابق. .

٢٤ - الحامد، م س

٢٥ - آل ملحم، م س، ص: ٣١٧ .

٢٦ - السبيعي، م س، ص: ٥١ .

٢٧ - آل ملحم، م س، ص: ٣١٨ .

٢٨ - آل ملحم، م س.

٢٩ - المرجع السابق.

٣٠ - السبيعي، م س، ص: ٥٤-٥٦ .
٣١ - السبيعي، م س، ص: ٦١ .
٣٢ - المرجع السابق .
٣٣ - الزركلي، م س.
٣٤ - المرجع السابق.
٣٥ - الحلو، م س.
٣٦ - آل عبد القادر، ق١، م س، ص: ٣٣ .
٣٧ - آل عبد القادر، ق١، م س، ص: ٣٦ .
٣٨ - آل ملا، عبد اللطيف عثمان: «**لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء**» فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالأحساء، دون تاريخ، ص: ٨٨ .
٣٩ - الشباط، عبد الله بن أحمد: «**الأحساء: أدبها وأدباؤها**»: دار الكتب الوطنية الجديدة بالخبر، ت: بدون، ص: ١٨٤ .
٤٠ - الحلو، م س.
٤١ - الشباط، «**أدباء من الخليج العربي**»، م س، ص: ٢٩٣ .
٤٢ - آل عبد القادر، محمد بن عبد الله: «**مختارات آل عبد القادر**» منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ص: هـ، د.